هيتمان

د / أحمد تركي

كانت ليلة مُظلمة باردة، الرياح تضرب الحوائط بالخارج، تُصفر فى غضب وهي تعبر الممرات الضيقة، جلس على فراشه يتأمل جو الغرفة المُقبض، قام وأزاح الستائر عن النافذة الزجاجية، لم يتحسن الوضع، المصابيح الحمراء بالخارج هي الدليل الوحيد على استمرار الحياة، تتراقص الأضواء، مُختلطة بقطرات خفيفة من المطر، تكونت غمامة باهتة على النافذة، استمع إلى أصوات السيارات البعيدة، تتحرك بعصبية على الجسر الضخم القريب، هناك سارينة سيارة شرطة تزعق وسطهم، ربما كانت سيارة إسعاف، من يدري؟

تطلع إلى الفتاة التي تنام على سريره، عارية تتدثر بغطاء أبيض خفيف، يظهر رأسها الدقيق وشعرها الثائر، وساقيها البيضاوين، والتي شاركته السكن طوال مدة اقامته في هذه الشقة الصغيرة في حيّ ترايبيكا Tribeca، مانهاتن، منذ خمسة أيام، وقد قدُم إلى تلك الشقة مُكلفًا بمهمة مُحددة، أن يتتبعها، ويتودد إليها، إنها جارته السلوفينية الفاتنة (تينا كافكا)، النت هاجرت إلى أمريكا منذ سنتين فقط، هاربة من عائلتها.

القصة التي لم تقصها (تينا) لأي أحد سواه، ويعلم أنها قد صدقته القول، لقد فرت لأنها علمت أن والدها، أحد أكبر تجار اللحوم فى سلوفينيا، قواد، وليت الأمر ينتهي عند هذا الحد، لقد علمت -وعن طريق الصدفة وحدها- أن والدها

يؤجر غرف الطابق العلوي لأحد المباني المملوكة له لمجموعة غامضة من رجال الأعمال، شركة خاصة خفية تُدير مجموعة من القتلة المأجورين، يُحضرون السياح من مختلف أنحاء أوروبا، كل من يُأتى إلى أوروبا من خارجها يُعد سائحًا، وهناك، في ذلك المبنى المملوك لعائلة (كافكا)، يُحبس كل واحد من المُختطفين في غرفة واحدة، ويُقيد في مقعد أو فراش أو منضدة، ويدخل من يستطيع دفع المال ليعذب أو يقتل، كما يشاء، وبأيّ وسيلةٍ يشتهي.

في اليوم الذي قررت فيه (تينا) أن تفر، رأت بأم عينيها سيدتين عجوزتين تتناوبان غرز كمية رهيبة من الإبر الطويلة في جسدين مُسجيين بلا حراك على منضدة عريضة واحدة، خيوط الدماء تتشابك في كل مكان، تابعت المنظر وقد ابتلع الرعب قلبها، كانت واحدة منهما تغرز الإبْرة في موضع عشوائي، ثم تُخرجها لتلعق الدماء التي علقت بها، ثم تضعها في مكانٍ أخر، وهكذا.

أما الأخرى، فكانت تُخرج الإبرة من الجثة ثم تثقب جسدها بنفسها، تصرخ في ألم، ونشوة، وهي تغني: (لا أريد أن أكون هنا، لا أريد أن أكون هناك)، وبداخل الغرفة، كان والدها يجلس على مقعد بعيد، هو وشريكين له في التجارة، يحيط بهم عدد من الحراس المُدججين بالسلاح، لن تنسى أبدًا النظرة التى رأتها في عينيّ والدها،هكذا قالت، النظرة التي قررت من أجلها أن تهجر كل شئ، وتهرب.

فرت (تينا)، سرقت بعض أموال والدها وهرعت إلى أمريكا، لم تُخبر أحدًا بما رأت، إنه والدها على كل حال، لقد كان طيبًا معها، لم يُبدِ أي عصبية أو سادية، إنها تحبه، كانت تحبه، لم تعد تفعل الآن، كان هذا أخر ما قالته له قبل أن تخلد

إلى النوم، بعد مُمارسة شبقة، كانت تتقلب في نومها بنعومة، ولم تُدرك أنه يقف إلى جوارها إلا حين مس وجنتها في بطء، تطلعت إليه بعينين ناعستين، مُطمئنتين، ما لبثت أن تحولت إلى الرعب، حين دفن رأسها تحت وسادة طرية، خنقها بيدين مُتمرستين، وسرعان ما فارقت الحياة.

كانت مهمته قصيرة مُحددة:

التخلص من (تينا كافكا) قبل أن تبوح بما تعرف، لم تكن لتتحدث على كل حال، ولكن من يدري، لا يصح أن يُترك مصير هذه التجارة الضخمة بين يديّ فتاة حمقاء، تقلبت عليه تلك الأفكار كأمواج عاتية وهو يسعى إلى النوم، لقد قتلها بالأمس، لكنها لا تُريد مُفارقة أحلامه، وهو فرحة الطائرة، أو على فراشه في باليرمو، بل وهو في طريقه إلى مصر، يستعد لأداء مهمته التالية.

في كل لحظة كان يراها، وجهها الأبيض النحيل تحول إلى عظام سوداء، وبصوت مخيف، أتٍ من غيابات أعمق قبر على وجه الأرض، تُردد دون توقف:

" يا رب، خذ بصره وسمعه، كما رأني، واستمع لي، فقتلني."

تأمل بنظارته المُقربة هدفه المُقبل، فتاة صغيرة العمر ترتدى رداءًا أبيض فضفاض، شعرها أسود، طويل ناعم، يتدلى على كتفها فيُظهر رقبتها الصغيرة، كانت كملاك صغير، يشع منها النور، في الرسالة الالكترونية التي أرسلوها إليه، أمروه بقتلها دون إبداء أي أسباب، العقد الذي بينه وبينهم ينص على تنفيذه

لأوامر الاغتيال خلال خمسة أيام على الأكثر، وإلا يُعتبر العقد لاغيًا، كان مُحترفًا في تنفيذ ذلك، يُتم الأمر دون أن يُلاحظه أحد، وبعد اتمام العملية يُنظف المكان من أي أثار له، إن وُجدت.

كان دائمًا ما يقتل أُناسًا لهم علاقة بكشف أسرار المُتعاقدين معه، وكانوا يُخبرونه بسبب قتل كل واحد منهم، كالفتاة الأخيرة، (تينا كافكا)، أما هذه الصبية الصغيرة، فلم يخبروه بشئ، طلبوا منه أن يضع قلبه في إناء من الصلابة، غير ما قد تشربه قلبه بالفعل من تنفيذه لأعمال الاغتيال، وطلبوا منه أن يقتلها من مسافة بعيدة، كي لا يتعرض ل(سحرها)، لم يفهم ما يقصدونه، ولكنه عرف أنه سيستخدم بُندقية (أم ٢٤ M٢٤) القناصة.

حينما تركزت بؤرة قنصه على مؤخرة رأسها، شاهدها تتحرك، استدارت فرأى وجهها واضحًا، وجه طفلة صغيرة، بيضاء البشرة، خطب ما لم يُدرك كنهه، رآه في عينيها الجاحظتين، وأُذنيها المشوهتين كقوقعتين التفا حول نفسيهما مائة مرة، الملائكة لا يكونوا مُشوهين هكذا، رأها تُحرك شفتيها بكلمات، كانت تتحدث اللاتينية، لقد تعلمها في صغره في (الكابيلا بالاتينا)، الكنيسة الملكية في باليرمو، كانت تقول:

"Domine dues, salva me, auribus teneo lupum, oculus teneo lupum"

لقد رأها تتكلم، وسمعها كذلك، كلماتها تطرق مخه بمطرقة من حديد، تُعيد ما تقوله مرارًا: يا إلهي، ساعدني، أمسك بأذن الذئب، أمسك بعين الذئب. كلماتها تختلط بكلمات (تينا):

"يا رب، خذ بصره وسمعه، كما رآني، واستمع لي، فقتلني".

لم يستطع أن يُطلق النار، لم يعُد يسمع أي شيء، شعره بأذنيه ينطبقان على بعضهما، كأنهما عجين يلتف حول نفسه في طبقات، ثم لم يعد يرى أي شيء، إظلام تام، والصمت يلف كل شيء لم يعد هناك ما يربطه بعالم الواقع، سوى ذكريات قتل، ووجهين لفتاتين، وأصابع صغيرة مُخيفة تتحسس جسده.